سر أبي الهول

مسرحية شعرية في أربعة فصول

للشاعر الفرنسي سوريس رستان

بقلم الأستاذ خليل هنداوي

الأشخاص

١ — باريس إيجلانو : شاعر في إيطالي
٢ — مارسيلوس : شقيقه
٣ — أرجانتي : مدير المسرح
٤ — الأمير
٥ — صديق الشاعر
٦ — الحاسد
٧ — الدوق لوجانو
٨ — فتى عاشق مصري
٩ — أبو الهول
١٠ — إيرابيلا موتي : ممثلة إيطالية
١١ — فتاة مصرية
١٢ — سابينا : أخت الشاعر
١٣ — فتاة عاشقة مصرية
١٤ — الحسناء المتفرجة
١٥ — السكانيلي

(تجري حوادث المسرحية في إيطاليا ثم تنتقل إلى مصر أخيراً)

الفصل الأول

الستر : أمسية تمثيل في روما في المسرح الكبير الحالي وقد ظهر قسم من البهو تشرف فيه المقاعد الأمامية واللوج المواجه للفصل ، الستار لا يزال مرخى ، هذا مساء يتكرر فيه تمثيل مسرحية « أبي الهول » للشاعر الايطالي « باريس إيجلانو » وخلال ذلك يكون المتفرجون بين قاعد وقائم ومتكلم وقد غرق القوم في ثورة حادة من الجدال ، والنساء قائمات يتحدثن ، وهنالك متفرجة حسناء تتحدث مع الأمير »

منظر وهير

المتفرجة الحسناء ، الأمير ، المتفرجون والمتفرجات ، وفي المقدمة زوج فضل الانجليز ، وصديق الشاعر ثم مارسيلاوس ثم أرجانتي فالمدير فالشاعر

المتفرجة الحسناء — كان ينبغي أن يبدأ الساعة الثامنة ؟

الأمير — لنتحدث يا عزيزتي متأملين الأنوار الساطعة

المتفرجة — (ضاحكة) أيبلغ من العبقرية هذا الحد ؟

الأمير — هكذا يقال

المتفرجة — (المتفرجة تهجي ، دون انتباه عنوان القطعة المدونة على الورقة)

أبو الهول : كيف كانت مسرحيته الأخيرة ؟

الأمير — أجريئة ؟

المتفرجة — فوق ما يتصور

الأمير — أبلغت جرأة لا يستطاع إخمادها . فكري في أن ليس فيها مكان ناء ، على أننا هنا جالسون في مكان ملائم كل الملاءمة

المتفرجة — وماذا يقولون من القطعة بالاجمال ؟

الأمير — لا أدري (بصوت منخفض) يتكلمون عنها كثيراً بالسوء : ينبغي أن يتحدث عن ضعف القطع قبل تمثيلها خشية أن يكون بعدها ...

متفرجة أخرى — أنظروا الدوقة ، كانت

بالأمس بردائها الأزرق ، وفى هذا المساء برداء حالك اللون ، لونه الغريب يزرى بالسواد ، وانظروا قرينة القنصل (تظهر يتبعها شحصان)

مدعو — أهى جميلة ؟

الأمير — كزنبقة تهوى عليها أنظار الرجال ، تستوى وتتكىء على أصابعها ذات الخواتم البراقة

متفرجة — (سخرية) كل هذا — دائماً — من أجل باريس إيجلانو !

حسود — يا لحظه !

الأمير — وهل أنت آسف على ذلك ؟

الحسود — إننى أنتظر . يجب أن ينتهى ذلك يوماً : الكل ينتهى من نساء ، من مجد ، إزابيلا موتى ، إن فى حوزته كل شىء

الأمير — ولكن ليس لك إلا أن تعمل عمله ، فابلغ القلوب فهزها . إن هذا ليس بعسير

الحسود — أنظر ! لا مقعد فارغ ! إنه ترك المدينة تأتى إليه سعياً ، والناس كلهم منتشرون إزاء الستار

الأمير — ولكنى لا أراك فى المقـــدمة ، وأجدك مولياً ظهرك للستار

الحسود — ذلك خير !

الأمير — ماذا تنتظر أيها الصـل الرقيق الملمس ؟

الحسود — أرجو أن أرى رواية أخ من إخواننا يصفر لها الناس صفير استهجان !

امرأة — ما هذا التخلف !

أخرى — يجب أن تكون « إزابيلاموتى » سبب هذا التخلف ؛ ومعها يتكرر دائماً هـذا التخلف

أخرى — وبأى دور تقوم ؟

الأمير — (بهزء) بدور أبى الهول ، لاريب !

أخرى — إنها لغريبة الأطوار

المتفرجة الحسناء — إنها تنزه قرداً !

الأمير — كأنما تريد أن تظهر بحيث كيف تفيض دوماً على القرد الذى يُدعى رجلا

المتفرجة — إن لها حفلات راقصة أشد هياجا من مواطن الفحش والعربدة

أخرى — على أنها تؤثر على كل شىء قبس أنوار الشموع

الكانتيللى — وهل أنت على ثقة بأنه عشيقها ؟

متفرج — من ؟

الكانتيللى — وهل عندك شك فى ذلك ؟ هو باريس إيجلانو . وهذا سبب الفتهما الآخـذة فى النمو

أخرى — إنها لا تمثـل إلا الأدوار التى تخرج منه

أخرى — وطالما اعترفت بذلك من قبـل

متفرجة — ولكنها يا رفيقتى كانت تخاطبه فى فينيس فى شهر يونيو الأخير — بلهجة المفرد أمام أصحاب الزوارق

أخرى — لوشئت لأصبحت شهيرة الاسم غدا

أخرى — إن لهـا كلاباً سلوقية ، وتخرج شبه عارية

الأمير — ليس هذا بالرائع كشىء غريب ، فاصفحوا عنها عاجلاً لجمالها ، واصفحوا عنها سريعا لظرفها الذى يتلألأ حولها حيث خطرت ، فى ذلك النهار ، فى القصر . . .

المتفرجة — فى « السوقونيسيا » . .

الأمير — نزلت شاحبة الوجه بمشية تغبطها عليها « بياتريس » وتحسدها « لورا » نظرنا اليها

بعين تلونت ، ونظر بعضنا بعضاً ، وقد غشيت وجوهنا كذلك صفرة . كم كانت جميلة ! خُيل الينا أن وجهها الذى غاض منه الدم رخام شفاف فهمس أحدنا : إنها « دايانا » . وقال الآخر : « إنها آريانا » وهكذا كانت تمشى الأسماء حولها وتتعالى وتنخفض كأ كليل متوهج ، وللجمال أسماء متعددة ، أما هو فواحد !

الكانتيللى — (مكبة على مقعدها تقرأ العنوان بدون اكتراث على صفحة البرنامج) أبو الهول ؟ إنى أحب هذا العنوان ؛ إنه يُمثل لى النواويس القديمة ، السماء الزرقاء ، الصحراء . . هل تعرف مصر ؟

(يضيع صوتها فى الضوضاء)

الأمير — (وقد لمح مفرجة جديداً) وهذا صديق حميم للشاعر . . .

المتفرجة — هذا الأشقر :

الأمير — إنه سيحدثنا منه عن السوء الذى نريده

المتفرجة — صديقه ؟

الأمير — حقاً ؛ إليكم هذا القانون : إذا كان لنا من يبغضنا فهم أخلاؤنا . لننادهم . . .

صديق الشاعر — (عائداً) أأنت ؟

الأمير — (يقدمه للحسناء) صديق للشاعر

الصديق — سترون أن الشهد الأول هو خير المشاهد

الأمير — أحقاً ؟

الصديق — (متهيداً) والثانى

الأمير — تنهدتك فيها تبه ، وهل أنت واثق بالفوز مع ذلك ؟

الصديق — أريد أن أؤمن به ولكن (بتنهدة ثانية)

الأمير — وهذه فيها قلق . . .

الصديق — إنه كثير الايمان بنفسه وذلك ما يبعث على القلق . . ثم ماذا تقولون ؟ إنها ليست من الروح على شىء . آه لو يهجر هذه الأنواع موجهاً عبقريته إلى مواضيع أكثر وجاهة . لو فعل ذلك لضمن له الفوز دون شك . قلت له ذلك مراراً ، وأعدت عليه القول تكراراً فلم يذعن : على أن عندى مواضيع للمسرح كثيرة . وما عليه إلا أن يكتب ويتوجه الى الناس بما يفهمونه : ثمن حب متواضع ، ومن مفاجآت ، ومن لحظات روحية ، أو من ضحك يؤول القليل منه إلى بكاء ؛ وأخيراً النموذج الذى ينطوى على كل شىء مما يعاد تمثيله مئات المرات . ولكنه يأبى الاذعان لرأيى ، والشعب مهما ارتقى لا يزال مفتقراً إلى أن نسليه ؛ أما أن نقص عليه تاريخه فهذا كثير : أما مسرحياته فلا بطل لها سواه ، وفى هذه المرة أيضاً . . .

فتى — (يدنو منه)

هل تعرف القطعة ؟ وما مآخذك عليها ؟

الصديق — كآبتها

امرأة — (بسخرية) حقاً ؟

الصديق — لقد أراد — وأضحكنى منه ذلك — أن يعالج أكبر مسألة فى الوجود ، وهى مسألة الموت . والمسرح ينفر من مثل هذا . ولقد يهين شعباً من يريد أن يحمله على التفكير . المسرح يفتقر إلى عمل ، وخصومة وسارتين . ولا يستطيع أحد أن يؤلف قطعة بقلبه وحده

امرأة — من يدرى ؟

الصديق — العمل المسرحى هو الشرط الأول : أتثقون بى ؟ إنه ناقضنى : وبدلاً من أن يعمد إلى رواية جديدة ليث يعطينا ما يرضى عنه مقياسه الخاص جاعلاً من المسرح مكان اعتراف ، معتقداً

أنه يجب قبل كل شيء أن يحيا فى مسرحياته . إنه انخدع وسيرى سأم الشعب منه . وإنى لعلى يقين من أن هذا ليس بنتاج مسرحى !

(مارسيللوس ايخلانو يدنو رويداً رويداً وقد شمراتهم يتكلمون عن أخيه ، وفجأة قابل هذا الصديق)

مارسيللوس : هذا أنت لا تنطق بلهجة واحدة

الصديق : ليكن ؛ إن له لبراعة ، ولكن بامكانه أن يكون أكثر فوزاً

مارسيللوس — (بعجلة) الفوز ! هذه هى كلمة طرحتها ، إنه ليحصل عليه لأنه لم يتحرعنه كثيراً ، على أننى ما كنت لأحقر الفوز من أجل إرضاء رغبة ، لأن — هنالك — فوزاً وفوزاً ، ولقد نظرت آثاراً كثيرة قوبلت بصفير الاستهزاء ، أو بتصفيق الاعجاب ، ولكن أحداً لم يخدع بقيمتها ...

الصديق — ولكن ...

مارسيللوس — لنقف عند هذه الكلمة ، كلمة الفوز ، فكلما كانت الكبرياء مصونة كان الفوز أكبر ، فالشاعر ، بالرغم عن نفسه يستحى من الضحكة الرنانة الناشئة عن حركة رائعة منه ، فهو إذا لم ينغمس إلا فى نفسه ولم يتخذ للتحليق إلا أجنحته ، ولم يفكر فى الناظرين إليه من أبناء الأرض ، إذا لم يفكر إلا فى تحليقه وحالة نفسه التى يعبر عنها ، وإذا لم يعد يرى — بعد انتهائه من الصعود — إلا الفحم ، فان كبرياءه — اذ ذاك — كبرياءه المشرقة تستطيع أن تنتخب حظها وأن تتكلم بلهجة عالية قائلة : ليقبل إلىّ المجد فانا لا أرحل نحوه ...

الصديق — أجل ! إننى أعلم ...

مارسيللوس — صه ! أيها الفسر المرائى ! إنك لا تفكر إلا فى المال من حيث لا يفكر إلا فى الفن .

الحسود — (مخاطباً المتفرجات اللاتى يسألن عنه) شقيق المؤلف .

مارسيللوس — ولا ينظر إلا إلى الجمال العميق البعيد الغور . المجد عند كم مجد مديح الناس واعجابهم ودعواتهم وأوسمتهم ، ولكن المجد — عند قلبه الذى يجهل دموعكم — هو ملكة مختالة تخطر حافية إن ما يريده ليس بذلك الفوز الزائل الذى يهتز له ضحكا جلاس المواقع الأولى ، ولكن ما يريده هو الشعور القوى العنيف بخفقات القلوب تجيب خفقات قلبه بسمو ورفعة ، وهو إنما يعبر عن النفس الانسانية إذ يعبر عن نفسه ، ويرى أن تحقيق الظفر للقطعة يوجب عليه أن يحررها بقلبه ، كل ما يبتكرونه يبتكره ذوق متصنع متكلف على أن أكبر أثر هو تضحية كبيرة !

(ينسحب)

الصديق — (هازاً كتفيه) إنه وهم باطل ينتهى بالحرق ! سنرى . لنتحدث عنه بعد ثمانية أيام .

الحسود — إن مارسيللوس أخوه

آخر — ولهذا يتجشم مئونة الذود عنه

كراهب فتىّ يتأثر حين يشتم ربه

الأمير — إن له صيحات حسنة

متفرجة — وله عينان جميلتان ؛ وقد زاد عنه بشدة

الصديق — مثل هذه الحماقات يحشو المعجبون به أذنيه

الفن ! الجمال ! كل هذا لا يساوى قطعة حسن حبكها تمثل عاماً

(تلاث ضربات)

الحسناء — آه ! ثلاث ضربات ... لنفزع إلى مقاعدنا !

(يشق الستار لمدير المسرح)

الجماعة — أخطاب ؟ ما هذا ؟ المدير ذاته ؟ ولكنهم ضربوا ثلاثا . ليتكلم ! ولننتظر !

المدير — معذرة يا سادتى وســـيداتى ، لا أستطيع التكلم إذا قاطعتمونى

الجماعة — كفى ...

المدير — إن مأساة الشاعر الكبير لن تقدر على تمثيلها هذا المساء

الجماعة — ماذا تقول ؟

المدير — إسمعونى قليلاً واعتصموا بصبركم !

الجماعة — نريد « سر أبى الهول » مهما ذهب الأمر

المدير — إسمعونى ، إسمعونى بلطف ! لن نقدر على تمثيلها لأن صاحبها حال دون ذلك

الجماعة — المؤلف ... لا يمكن ذلك

المدير — المؤلف نفسه نقح فيها

الجماعة — المؤلف ... المؤلف ... كفى ... أيها الكذاب ! أيها اللص ! أيها الأثيم !

المدير — إسمعونى قليلاً ؛ وأنا واقفت على إرجاء تمثيلها لبوادر القلق التى رأيتها تغشى وجهه ، وإنكم لتشفقون عليه كما اشفقت أنا . إنه المؤلف ؛ وإنه أيضاً الصديق الذى أحبه

الجماعة — آه

المدير — إن روايته الأولى مُثلت هنا على هذا المسرح ، وقد كانت حائزة لاعجاب القوم ، ولم يزل فى أثناء الستار وإطوائه تصفيق فخار ، ألسنا مدينين له بكثير من الساعات الطويلة ؟ فلنسمح له بها عن هذا التردد ، إن حبك أيتها المدينة وهتافك وإعجابك وقلبك الرحب جعله صعباً مع نفسه إلى مثل هذا الحد ، ألا تجدون فى إحجامه من تقديم القطعة ؛ ألا تحسون فى شكه وقلقه كل هذا الثمن الذى يدعه لكم أيها السامعون ! يجدر بنا أن نؤمن به فى اللحظة التى يشك فيها من نفسه وهذا حقه

الجماعة — كان ينبغى عليه أن يعلمنا من قبل ... ليأت إذاً ... ليطلع علينا !

(يظهر باريس إخلانو خلف المدير ... صفير وصراخ ...)

باريس — (بصوت شديد وعلى وجهه صفرة)

ها أنا ذا يا شعب روما ! يا نقاده ويا كتابه ، يارساميه وفنانيه ورجاله ! ويا أصدقائى المبشرين فى هذا الحضم الواسع ، ها أنا ذا إذا شئتم أن تصفروا لى ...

الجماعة — ما هذه المجازفة ؟

باريس — يجب أن آتى ، لا يفر أحد من هذا المكان غيرى ! أنا ألفت الرواية وأنا حلت دون تمثيلها ، وإذا أردتم عرفان السبب فاصغوا إلىّ !

الجماعة — كفى ... لماذا ؟

باريس — جئت بنفسى معترفاً ! اسمع لى أيها الشعب الذى أحبه ! ألم أقاسمكم بالفدر الكافى أعشار فؤادى لقاء ترحيب — منكم بى — أقل هزءاً وسخرية .

الجماعة — ذروه يتكلم !

باريس — ألم أحبكم — بدون انقطاع — عهوداً ووفيتها ، ووعوداً وأنجزتها ؟ ألم أطالب اليكم الكبرياء التى تتمسكون بها ؟ اسمعوا إلى : إن الرواية روايتى ، قد أودعتها كل همسات حياتى ، وفصلت لها جناحين من تهدانى

الجماعة — حسناً :

باريس — قضيت ثلاثة أعوام منكباً خلالها على نظمها ، وقد صبغت أوراقها بدم غير منظور ، ثم كانت إعادة تلاوتها على أوراق تجمدت ، ثم جاء عهد تزيينها ، ثم تتات لحظات الشك والريبة . وقد وجدت كل مساء خلال استسلامى لأحلامى أن هذا الأثر القلق الذى كنت أعبده أخذ يتلاشى ، وكلما وافت المأساة وقتها المحتوم أصبح حلها الذى انتهت به قاسياً عندى ، وأصبحت أشعر فى ساعة يأسى العنيد أن عرضها عليكم وتقديمها اليكم ضرب من المحال .

الجماعة — إنه لمعتوه .

باريس — لا ، لست بمجنون ولا بى عته ، اسمعوا إلىّ . أؤكد لكم أنكم موافقون على رأيى ، وتدركون كيف التهمنى « أبو الهول » . إنى أزلت فى هذه القطعة الغريبة قلبى ، قلبى كله ، معتقداً بأن الشاعر الذى لا يضع قلبه فى عمله يأتى عمله ناقصاً . ما كنت لأشك فى هذا من قبل ، ولكنى فهمت بعد لأى أى حد بلغ إغراقى ؛ ورأيت أن ستاراً خفياً يجب أن يحيط بالمشهد حينما ينطوى على حياة إنسانية

الجماعة — الرواية : الرواية

باريس — (يتمهل) إنها لن تمثل !

(الهياج يزداد) إنى أبصرتها — كما تراءى لى — تنهض من تحت قدمىّ ، ورأيتها تولد وتحيا بوجهها الحقيقى . وأدركت أن تقديمها اليكم يُعَد جريمة . وقد فهمت المثلة التى تقوم بها ذلك : وغلب ترددى العنيف على نفسها . افهمنى أنت أيها الشعب وأسكت قليلاً حب الاطلاع فى نفسك عارفاً بأنى كنت دائما تلك القيثارة التى كانت ترجع أنشودتك القاتمة ، وكنت الصدفة الواحدة التى تتهامس فيها أمواجك

(يسكت دقيقة بادياً عليه التأثر مودعاً شعبه)

إننى راحل : وهذا وداعى أردده فى هذا المساء : فلا روما ولا سماؤها يستطيعان أن يلهمانى . وداعاً أيتها الأصداء المتجاوبة من هذا الناووس الشهير : أريد أن أرى « أبا الهول الحقيقى » فى مصر حقيقة . لن تسمع — أيها الشعب — بعد اليوم اسمى ولا أناتى .

أقول وداعاً . . .

الجماعة — كفى ... الرواية نريد أن نراها ... هات أبا الهول .

باريس — ليس من حق انسان أن يحطم بالقهر نفساً ! لا لا : لن تروا منها شيئاً برغم إلحاحكم ! إننى صمت — أقول — صمت إلا أنى أريد ذلك ، وازدريت الكتابة وتنحيت عنها لأستطيع الخوض فى لجج الحياة ، وجئت لكى أحطم قيثارتى أمامكم ! إننى لن أكتب شيئاً بعد اليوم !

الجماعة — القطعة ... ولتذهب أنى ذهبت ... نريد أن نراها .

باريس — (قاذفاً باضبارة من الورق) إليكم القطعة ...

الجماعة — آه

باريس — هذه هى روايتكم التى أضمنها بكبريائى وكآبتى ، وهذه هى النسخة الوحيدة الباقية فى الوجود . أنظروها وتروحوا من بعيد ريح أبياتها التى لن تعرفوها . وداعاً ! يا فقص الف من الأشبال من غير حديد ولا شباك ... إذا أردتم قلبى فدونكم قطعاً منه وفلذاً ممزقة ...

(يمزق الأوراق ويقذف بها وجوه السامعين)

(يهبط الستار)

(الفصل الثانى فى العدد القادم) مندور لهنرارى